المصادر الأولية لسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومغازيه
"دراسة وتحقُّق"

د. حاتم نايل الضمور*

ABSATRACT

This study was conducted to search for the primary sources of the biography Maghazi of the prophet Mohammad (PBUH) and addressed to clarify the concepts of "Biography" and "Maghazi". It also sheds a light on the early efforts for writing it down .The researcher have tried to present the primary sources of the biography of the Prophet starting with the Qur'an as an essential source of it. The researcher presented the prophetic documents and letters in the era of the prophet Mohammad (PBUH) in addition to the documents of Al-Sahabah and their followers and the descending followers. Though out this study the researcher presented the most famous biography and Maghazi scientists and the way they put all their efforts to study and document those events.

The resources and the references that were adopted by this study had an active role in supplying the research with findings that enriched it. At the end of the study it was clear for the researcher that the scientific output of the muslim scholars in the context of biography and Maghazi had passed through several stages to make the idea of the biography and Maghazi clear. Those studies became a cornerstone in writing the history of Islam.

قبل الحديث عن مصادر سيرة ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم لابد من توضيح مفهومي السيرة والمغازي عند اللغويين والمؤرخين:

* (أستاذ مساعد/جامعة الشرق الأوسط)

السيرة لغةً : بكسر السين وفتح الراء هي السنة والطريقة والهيأة وجمعها سير([1])، ووردت هذه اللفظة في القرآن الكريم:" سنعيدها سيرتها الأولى"([2])، وقد دلت اللفظة في هذه الآية على (الهيأة)([3])، وتعني هذه اللفظة أيضا أحاديث الأوائل إذا استعملناها بصيغة الجمع (سير)([4])، ووافق الزبيدي على ما طرحه سابقوه من معانٍ لهذا اللفظ([5]).

وتشير المعاجم ودوائر المعارف إلى تطورات هذا اللفظ واستعمالاته المتعددة، إذ ذكر أحدهم أن لفظة السيرة تعني "السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وأخذت السيرة بمعنى الطريقة"([6])، ويضيف آخر "السيرة جمع سير وهي في الأصل الطريقة مطلقا ثم غلبت على أخبار الناس ثم على أحوال النبي وطرائفه([7])، ومن هنا نرى أن أصحاب المعاجم من القدماء والمحدثين قد اتفقوا على معنى هذه اللفظة ومدلولها فلم نجد منهم من خالف هؤلاء أو شذ منهم.

ويبدو أن لفظة (سيرة) قد مرت بمراحل متعددة حتى تبلورت بهذا الشكل، إذ نلاحظ أن هذه اللفظة في بداية الأمر قد شاركتها في مدلولها وفحواها لفظه (المغازي) المغايرة لها في التركيب، وهذا ما أشار إليه الزبيدي حين أكد مشاركة هذين اللفظين وترابطهما بالمدلول والفحوى، إذ يقول: "إن السيرة مأخوذة بمعنى الطريقة وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك إلحاقا وتأويلا"([8])، وأضاف التهاوني على هذا الأمر مقالة مفادها: "وسميت المغازي سيرا لأن أول أمورها السير إلى الغزو "([9])، ومن تباين لفظة المغازي التي تعني مواضع الغزو أو الغزو نفسه ثم أطلقوها على مناقب الغزاة وغزواتهم([10])، وبعد ذلك توسعوا في استعمالها فأطلقوها على حياة النبي (ص) حتى جعلوها مرادفة للفظة (السيرة)([11]).

ويضيف مارسدن جونس في تبيان لفظة السيرة والمغازي واقترانهما ببعضهما في المصنفات القديمة الخاصة بترجمة حياة الرسول (ص) إذ يقول: " إن اللفظتين سيرة ومغازي مستعملتان بمعنى واحد لا تفريق بينهما

([1]) الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت393هـ/1003م)، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، القاهرة 1397هـ/1977م، مادة (سير)، ج2 ص191.

([2]) القرآن الكريم: سورة طه، آية 21.

([3]) الفخر الرازي، محمد بن زكريا (ت697هـ/1298م)، التفسير الكبير، القاهرة (د.ت)، ج21 ص29.

([4]) الفيروز آبادي، مجد الدين (ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، المكتبة التجارية، القاهرة 1913م، مادة (سير)، ج2 ص56.

([5]) الزبيدي، محمد بن مرتضى (ت1205هـ/1791م)، تاج العروس، تحقيق مصطفى الحجازي، وزارة الأعلام، الكويت 1393هـ/1973م، مادة (سير)، ج12 ص117-121.

([6]) التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، كلكتا، 1283هـ/1866م، طبع أوفست، مكتبة المثنى، (د.ت)، ج1 ص663-664.

([7]) البستاني، بطرس، دائرة المعارف الاسلامية، دار المعرفة، بيروت (د.ت)، ج10 ص307.

([8]) الزبيدي، تاج العروس، مادة سير، ج12 ص121.

([9]) التهانوي، كشاف، ج1 ص663-664.

([10]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت 1970م، مادة غزا، 51/123-124.

([11]) مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة 1380هـ/1961م، مادة سير، ج19، ص470.

...على أن كلا اللفظتين مضلل بحيث إن موضوع اللفظة (سيرة) غير مقيد بسيرة النبي (ص) على الإطلاق في الحالة الأولى ولمغازيه في الحالة الثانية"([1])، من هذا نرى أن هذين المصطلحين قد مرا باستعمالات متعددة وأصبحا مترابطين في المعنى والمدلول لمواضيع المصنفات الخاصة بحياة النبي (ص) في القرون الثلاثة الأولى وهذا ما أكده ابن النديم عند ذكره لمصنفات المؤرخين الذين كتبوا عن سيرة الرسول بإطلاق لفظة "وله كتاب في المغازي"([2])، ويعزو الدوري هذا الترابط بين هاتين اللفظتين إلى استمرار فكرة الأيام التي كانت مع مع القبائل العربية قبل الإسلام المتعلقة بأذهان المسلمين، فأخذوا يسردون المغازي بذكر الحوادث التي سبقتها والتي تلتها([3]).

كما أن لفظة (سيرة) لم تقتصر على حياة النبي (ص) وطريقة سلوكه وعيشه بل تعدتها إلى الحديث عن شخصيات أخرى، إذ بدأت على هيأة محاولة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-718م) يطلب فيها من سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت106هـ/724م) كتابة سيرة جده عمر بن الخطاب (رض) في أهل القبلة وأهل العهد([4]).

إلا أن هذه المحاولة لم تنجح فقد أجاب سالم بن عبد الله بن عمر على طلب الخليفة بالقول: "أما بعد فإنك كتبت إليّ تسألني ...أن أكتب لك بسيرة عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهود، وتزعم أنك سائر بسيرته ان الله اعانك على ذلك وانك لست في زمان عمر ولا في مثل رجال عمر"([5])، ويبدو أن ظهور مثل هذه المحاولات للتدوين التي باءت بالفشل تعود لتحرج بعض الخلفاء من الشروع في التدوين وخاصة لأحاديث الرسول (ص) والتي نهى الرسول (ص) عن تدوينها.

استمر المؤرخون بكتابة مصنفات تتناول سير الاعلام البارزين من الخلفاء والعلماء بكتب مستقلة، حتى بلغت العدد الكثير، وقد بيّن حاجي خليفة قبل استعراضه لأسماء هذه المصنفات أن لفظة (سيرة) أو (سير) تعني ترجمة حياة شخص ما أو تأريخ حياته، غير أنه إذا أطلق لفظ (سيرة) مشفوعة بألف ولام حصراً يراد بها ترجمة حياة النبي (ص) وأصبحت عَلَماً قائماً بذاته هو علم السير([6])، ومما يبين لنا أن مصطلح السيرة قد أصبح حكرا حكرا على المصنفات الخاصة بحياة النبي (ص) وأحواله([7])، و من هنا نرى أن السيرة النبوية ينطبق عليها

([1]) مارسدن جونسن، مقدمة تحقيق كتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، مطبعة اكسفورد 1386هـ/1966م، ج1 ص19.

([2]) ابن النديم، محمد ابن إسحاق (ت380هـ/990م)، الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط1، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة 1985م، ص105، ص105، 106، 114، 122، 147، 252، 282، 284، 287.

([3]) الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1960م، ص43.

([4]) ابن عبد الحكم، عبد الله (ت214هـ/829م)، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، ط5، مكتبة وهبة، القاهرة 1373هـ/1954م، ص102.

([5]) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص103-104.

([6]) حاجي خليفة، مصطفى عبد الله (ت1067هـ/1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين، دار الفكر، بيروت 1982م، ج2 ص112.

([7]) دلافيلدا، ليفي، دائرة المعارف الإسلامية، مادة سير، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة (د.ت)، ج12 ص43.

مفهوم السير الموضوعية لأنها تدور حول تعرف حياة النبي (ص) وفهم معاني شخصيتة وأحواله من قبل أناس آخرين.

يجمع الدارسون للسيرة النبوية على أن السيرة التي انطلقت أساساً من رواية الحديث التي كانت تعني في البداية تاريخ الرسول العسكري وغزواته، التي قام بها لنشر دعوته لم تكن للسيرة [1]، يذكر حسين نصار في تقديمه لكتاب يوسف هوروفتس الذي نقله إلى العربية سبب ترجمته لفظ "biographies" المغازي لا السير قائلاً: "وقد ترجمته باسم المغازي الأولى ومؤلفيها"، وآثرت كلمة المغازي لا السير مقتدياً في ذلك بالمؤلف نفسه، فهو الذي اختار هذا اللفظ وكتبه بالحروف اللاتينية في أصله الأوروبي، وأشير إلى أن لفظ (المغازي) يعني الغزوات وهي الحروب التي شارك فيها الرسول (ص) بالقتال، ولكن هذا الاسم تدرج بالزمن فاتسع معناه وشمل حياة النبي (ص) جميعها، ويقول هوروفتس في المقدمة التي صدر بها نفس الكتاب: "نشأت السيرة أول ما نشأت أحاديث في مجالس الخاصة كانت تدور حول مغازي رسول الله (ص) فيسأل بعض الولاه أو الأعيان في الأمصار الإسلامية الكبرى كالمدينة ودمشق عالماً ممن اشتهر بالحفظ والرواية كيف كانت غزوة بدر؟ أو من الذين شهدوا هذه الغزوة؟ أو ما عددهم؟ فيحث القوم بما يعلم من ذلك مسنداً الحديث إلى من أفاده إياه من الصحابة، وكانت تلك الأحداث أحياناً تفسيراً لبعض الآيات التي تضمنت شيئاً من تاريخ الوقائع وغزوات النبي (ص) مثل يوم بدر ويوم أحد" [2].

وحصر (هوروفتس) الصفحات الأولى من كتابه معنى المغازي في الحروب، فيقول: "ووجد بين التابعين أناس يعدون علماء بالمغازي وهي الحروب، وينبغي أن نقصر معنى هذا اللفظ على المعنى الخاص بأعمال النبي والصحابة الحربية [3]، ولم يخفَ هذا على المستشرق (ليفي دلافيدا) الذي لاحظ أن لفظ "سيرة" اقترن باستمرار بكتب مدونيها بلفظ مغازي، يقول: "يوجد لفظ سير في أغلب الشواهد التي بين أيدينا عن انتاج الأدب العربي الأول المتعلق بسيرة محمد مقترناً دوماً بلفظ المغازي وهي الحملات العسكرية، وأن هذه التسمية من شأنها أن تدلنا على أصل السيرة المركب" [4].

ولم ينحُ غير هذا المنحى إلا (مارسدن جونس) الذي قام بتحقيق أهم كتاب عن مغازي الرسول وصل إلينا كاملاً بعد كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وهو كتاب الواقدي المعروف بكتاب المغازي، يرى (مارسدن) أنه لا فرق بين السيرة والمغازي، بل اللفظان في نظره بمعنى واحد، يقول: "إن اللفظتين (سيرة ومغازي) مستعملتان

---

[1] الواقدي، محمد بن عمر (ت207هـ/823م)، مغازي الواقدي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الافاق الجديدة، 1397هـ/1977م.

[2] هوروفتس، يوسف، المغازي الأولى ومؤلفيها، ترجمة حسين نصار، ط1، شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1949م، ص المقدمة.

[3] هوروفتس، المغازي الأولى، ص المقدمة

[4] دلافيلدا، دائرة المعارف، م12 ص439-455.

بمعنى واحد لا تفريق بينهما"([1])، ويبدو أن هذا غير صحيح؛ لأن لفظتي "السير" و"المغازي" غالباً ما وردت في كتب السير والتراجم غالباً ما ترد ان متلازمان، وهذا يعني لا يرد ان بمعنى واحد، بدليل أن الخطيب البغدادي في تعريفه لابن اسحاق([2]) يقول:" كان عالماً بالسير والمغازي وأيام الناس، وأخبار المبتدأ وقصص الأنبياء"([3])، ويقول ابن سعد متحدثاً عن الواقدي:" وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح"([4])، ويقول عبد العزيز الدوري في حديثه عن ابن اسحاق:" وقد وجدت أخيراً قطعة من مؤلف ابن اسحاق هذا بعنوان السير والمغازي"([5])، فتلازم اللفظين إذن لا يدل على أنهما مستعملان بمعنى واحد، كما زعم ذلك (مارسن).

المصادر الأولية لسيرة ومغازي الرسول (ص):

كانت الكتابة في سيرة الرسول (ص) مقتصرة على بعض المصادر التي تفيد في بعض الأحداث التي رافقت الدعوة الإسلامية، ولم تكن قبل ذلك مبوبة ومنسقة قبل الربع الثاني من القرن الثاني الهجري([6])، وهذه المصادر لم تكن مؤرخة لأحداث عصر الرسالة، وكانت هذه المصادر تتناول جانباً من الأحداث مكملة للأخرى ومتممة لها([7])، وهذه المصادر هي:

القرآن الكريم: وهو المصدر الأول للسيرة النبوية والمغازي، وهو كتاب الله تعالى أنزله لفظاً ومعنى على سيدنا محمد (ص)، ونص القرآن مضبوط بصفة عامة يقر الجميع بصحته، وقال الله عز وجل فيه:" لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"([8])، وهو دستور المسلمين في دينهم ودنياهم وقد عملوا على حفظه وتدوينه سليماً من التحريف والتصحيف([9])، لذلك يعد القرآن الكريم من المصادر المهمة والموثوقة التي لا يدخل إليها الشك والضعف في معرفة سيرة الرسول وأحواله([10]).

([1]) الواقدي، المغازي، ج1 ص19.

([2]) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 2001م، ج7 ص67؛ ابن النديم، الفهرست، ص94.

([3]) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1071م)، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي–بيروت (د،ت)، ج1 ص215

([4]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص425.

([5]) الدوري، عبد العزيز، دراسة في سيرة الرسول (ص) ومؤلفها ابن إسحاق، قدم هذا البحث إلى دورة مجمع اللغة العربية، بغداد ص1-33، 1965م، ص120.

([6]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج1 ص151.

([7]) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1979م، ج1 ص92-100.

([8]) القرآن الكريم: سورة فصلت، آية42.

([9]) السجستاني، عبد الله بن أبي داوود (ت316هـ/928م)، المصاحف، تحقيق آرثر جفري، ط1، المطبعة الرحمانية، القاهرة 1355هـ/1936م، ص3-18.

([10]) محمد عزة دروزه، سير الرسول (ص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1384هـ/1965م، ص6؛ محمد اسماعيل ابراهيم، سيرة الرسول ومعالمها في القرآن والسنة، دار الفكر العربي، القاهرة 1392هـ/1972م، ص8.

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات الكريمة التي أشارت إلى حياة الرسول (ص) وسيرته وأحواله، ([1]) وأحواله، ([1]) وقد كان ذلك محفزاً للعديد من الباحثين إلى التنبه إلى ما تضمنه القرآن من وصف لحياة الرسول وأحواله، فأخذوا بجمع هذه الآيات المتفرقة، بمصنف مستقل يحوي على هذه الآيات وفق الخطة التي سار عليها معظم المؤرخين عند استعراضهم لسيرة الرسول (ص) ([2]).

1. **مراسلات الرسول(ص):** وتشمل الرسائل والمعاهدات والوصايا التي كتبت بأمر من الرسول (ص) ودوِّنت في حياته الشريفة وكتبت بعد هجرته إلى المدينة المنورة وأصبح قائداً دينياً ودنيوياً للمسلمين، وأصبحت الدولة الإسلامية ذات كيان سياسي وإداري.

وعلل (حميد الله) افتقار العصر المكي لمثل هذه الوثائق بكون "عصر النبي قبل الهجرة عهد تمهيد وتجربة لا يصح أن يقال أن الجماعة الإسلامية في مكة كانت حينئذ دولة من الدول، فإنه لم يكن لها كيان سياسي ولا نظام إداري ولا تصادف في هذا العصر ما يطلق عليه اسم السياسة الخارجية سوى بيعتي العقبة والرضوان اللتين اسستا بنيان الدولة الاسلامية، وكان لهما أثر عظيم فيما بعد، إلا أنهما لم تكتبا في قرطاس ولم تؤخذا إلا سرا" ([3]).

استفاد العلماء المسلمون من هذه الوثائق، واعتمدوها في مصنفاتهم بحسب اختصاصهم واهتمامهم، وذلك لأنها شملت جوانب عدة من حوادث عصر الرسالة، إذ ضمت بحسب ما صنفها حميد الله: الدعوة إلى الإسلام، والمعاهدات الجديدة أو تجديد ما سبق من المعاهدات، وتولية العمال وواجباتهم، والعطايا من الأراضي والغلات، وكتب الأمان والتوصية ([4]).

ونالت هذه الوثائق اهتمام المسلمين منذ عصر الرسالة فقاموا بحفظ نسخ منها، وتؤكد ذلك إحدى الدراسات الحديثة هذا: " إن الصحابة والتابعين كانوا ينسخون سوراً من خطابات النبي (ص) المرسلة الى مختلف الجهات.. لأنه لم يكن ممكناً لأحد أن يجمع مكاتيب الرسول (ص) المرسلة إلى الجهات الأخرى ما لم تكن هناك سور محفوظة منها لدى الصحابة" ([5]).

اتفقت هذه النتيجة سابقة الذكر مع ما أوردته المصادر المتقدمة أن بعض الصحابة كانوا يحفظون شيئاً من هذه المكاتبات عندهم، إذ أوضح القاسم بن سلام أنه قد اطلع على الكتاب الذي كتبه الرسول إلى أهل دومة الجندل

([1]) الدوري، بحث، ص94.

([2]) عن المصنفات التي نحت هذا المنحى، أنظر، علي شواخ اسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، دار الرفاعي، الرياض 1405هـ/1984م، ج3 ص214-215.

([3]) حميد الله الحيدر آبادي، مجموعة الوثائق السياسية العائدة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار التأليف والترجمة، القاهرة، ط2، 1375هـ/ 1956م، مقدمة الكتاب، ص ي-و.

([4]) الحيد آبادي، مجموعة، ص ي-و

([5]) الأعظمي، إسماعيل عز الدين، كتاب النبي (ص)، المكتب الإسلامي، بيروت 1978م، ص26.

إذ أتاه به شيخ من أهل تلك المدينة وكان مكتوباً في قضيم صحيفة بيضاء فنسخه بتمامه([1])، وأضاف محمد بن عبد الله الازرقي (ت232هـ/847م) إلى أن أسرته قد احتفظت بالكتاب الذي كتبه الرسول لجدهم الأزرق بن عمرو وولده إلى أن ذهب هذا الكتاب في أحد السيول الذي اجتاح مكة سنة 80هـ/700م([2])، وأكد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت762هـ/1360م) أن عكرمة مولى عبد الله بن عباس قد نسخ الكتاب الذي بعثه الرسول (ص) إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين يدعوه فيه إلى الإسلام([3]).

ج- **مدونات الصحابة والتابعين:** وهي ما كتبه الصحابة والتابعون في صحف ورقاع مما سمعوه أو شاهدوه من أحداث عاصروها تخص سيرة الرسول (ص) ومغازيه وأحواله، ولكن هذه المدونات قد تضاربت فيها الآراء حول صحة الروايات التي أشارت إلى قيام بعض الصحابة والتابعين بتدوين مشاهداتهم وسماعاتهم بعض أحداث السيرة([4])، وكان سبب هذا التضارب في الآراء هو تناقض من حيث إباحة التدوين والكتابة والامتناع عنها([5]).

وتضمنت المدونات أيضا أحكاماً تشريعية، وهذه الأحكام هي (السنة) ولذلك نجد أن هذه المدونات قد تلقفتها كتب الحديث والأخبار والسيرة على حد سواء([6])، ويبدو واضحاً أن هناك ترابطاً وثيقاً بين الحديث والتاريخ في بداية تدوينهما عند المسلمين، إذ أسهما في رفد السيرة النبوية بالروايات التي تدخل ضمن اختصاص كل منهما([7]).

ويبدو أن معظم المدونات فقدت وهذا ما دفع الباحثين إلى الاعتماد في دراستها على المصادر التي نقلت منها والتي وصلت إلينا، نذكر منها:

أ- مدونات الصحابة: والتي دونوا فيها عن حياة الرسول (ص) وأحواله وهذه المدونات هي:

([1]) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ/839م)، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1387هـ/1968م. ص195.

([2]) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت250هـ/1864م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح، ط2، دار الثقافة، مكة المكرمة، 1384هـ/1965م، ج2 ص242.

([3]) الزيلعي، أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي (ت762هـ/1360م)، نصب الراية لأحاديث الهداية، ط1، المجلس العلمي الهندي، 1357هـ/1938م، ج4 ص420.

([4]) وليد عوجان، النهي عن تدوين غير القرآن، مجلة البحوث والدراسات، جامعة مؤته، الأردن، مجلد10، عدد3، آب 1416هـ/1995م، ص65-98.

([5]) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت463هـ/1071م)، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، مطبعة إحياء السنة النبوية، القاهرة 1395هـ/1975م، ص35-84.

([6]) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، ط1، دار العروبة، القاهرة، 1381هـ/1961م، ص59.

([7]) بشار عواد، مظاهر تأثير علم الحديث، ص22-37.

1. سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي (لم نعلم تاريخ وفاته): وهو من صغار الصحابة، وأكدت المصادر صحبته للرسول (ص)([1])، ودون بعضاً من الحوادث التي مرت في عصر الرسالة، حتى عدته إحدى الدراسات من أوائل الذين دونوا أشياء عن حياة النبي (ص)([2])، وربما بدأ هذا العمل أبوه سعد فعدله، وقد كانت النسخة الأصلية من تصنيفه موجودة عند حفيده سعيد بن عمرو بن سعيد في أوائل العصر العباسي، وبقيت لنا من كتاب سعيد نصوص محدودة في مسند أحمد بن حنبل([3])، وأورد ابن حجر رواية مفادها أن حفيده سعيد بن عمر قد روى عن جده وجادة([4])، والوجادة تعني عند المحدثين ما يقف عليه الراوي في كتاب شخص يروي بدوره عنه من دون أن يلقاه أو يسمع الحديث منه أو يجيزه برواية الكتاب ونشره([5]).

2. سهل بن أبي حثمة الأنصاري الخزرجي المدني الحارثي (ت 41هـ/661م): وهو صحابي من بني ساعدة توفي في أول خلافة معاوية([6])، اهتم بتدوين بعض حوادث السيرة، وأشار إلى ذلك حفيده محمد بن يحيى بن سهل إلا أنه كان يعتمد على ما كتبه آباؤه في حوادث السيرة، ويؤكد ذلك ما قاله في معرض حديثه عن بعض المغازي التي نقلها منه الواقدي في كتابه المغازي([7])، وجدت في كتاب آبائي([8])، ووجدت هذه المدونة عند البلاذري إذ نقل منها رواية واحدة([9])، كانت هذه المدونة أوفر حظاً من سابقتها لوجود شخص قد قد روى بعض ما ورد فيها من الروايات التي وثقت بعض حوادث السيرة.

3. عبد الله بن عباس (ت 87هـ/706م): وهو ابن عم رسول الله (ص)، ومن الذين أخذ عنه العلم الكثير بمختلف صنوفه حتى لقب بحبر الأمة([10])، وهو من أبرز فقهاء المدينة وأوسعهم اطلاعا وعلما، روى ابن سعد عنه: "كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما للتأويل ويوما للمغازي ويوما للشعر ويوما لأيام

([1]) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت 463هـ/1070م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، د.ت، ج2 ص16.

([2]) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، د. ط، ترجمة عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، منشورات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1983م ج1 ص443.

([3]) ابن سعد: الطبقات، ج7 ص82.

([4]) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (852هـ/1448م)، تهذيب التهذيب، تحيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب الكتب العلمية، بيروت 1415هـ/1994م، ج4 ص69.

([5]) الشهرزوري، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (642هـ/1244م)، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث، تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مركز التحقيق التراث، القاهرة، 1396هـ/1976م، ص292.

([6]) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2 ص661.

([7]) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2 ص713، 775، 777.

([8]) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج1 ص444.

([9]) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت 279هـ/892م)، أنساب الاشراف، تحقيق عبد العزيز الدوري وآخرون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1371هـ/1371هـ/1978م، ج1 ص509.

([10]) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص112-138.

العرب"([1])، وتشير المصادر إلى دور عبد الله بتوثيق أخبار السيرة والسؤال عن الأحداث التي حصلت ممن شاهدها أو سمعها من الصحابة الذين هم أكبر سناً منه([2])، ولم يقتصر ابن عباس عن السؤال وحده في حفظ أخبار السيرة بل كان يكتب ما يسمعه من أجوبة عن الأسئلة والاستفسارات التي كان يطرحها على الصحابة، حتى رآه بعض الناس وقد حمل ألواحاً يكتب عليها عن أبي رافعة شيئاً من فعل رسول الله (ص)([3])، حتى كانت حصيلة هذا المجهود أن ترك مجموعة كبيرة من المدونات أو الصحائف في مختلف صنوف العلم وصفها ممن شاهدها بأنها تقدر بحمل بعير([4])، وهناك روايات تحدثت عن سيرة الرسول (ص) ينتهي ينتهي إسنادها إلى عبد الله بن عباس([5]).

4. عبد الله بن عمرو بن العاص (ت65هـ/679م): وهو من صغار الصحابة الذين اهتموا بتدوين أقوال الرسول (ص)، ودوّن بعضاً من أحاديث النبي (ص) في صحيفة أسماها (الصحيفة الصادقة)([6])، وقد كانت مدونة عبد الله بن عمرو أقرب إلى الحديث ولكنها وثقت بعض الأحداث التي حصلت في عصر الرسالة وهذا ما دعا إلى إيرادها ضمن مدونات الصحابة للسيرة ([7])، ويصف ابن الأثير مدونة عبد الله بن عمرو بأنها قد ضمت ألف حديث، حفظ منها (436) حديثاً بحسب إحصائية أحد الباحثين([8])، وأورد الإمام أحمد بن حنبل حنبل أكثر من نصفها في مسنده([9])، وقد تناقل أحفاد عبد الله هذه الصحيفة أو المدونة، ومن الذين وصلت إليهم حفيده عمر بن شعيب([10]).

ب-

ت- مدونات التابعين وتابعيهم:

التابعون هم الجيل الذين جاءوا بعد الصحابة أو من اتصل بهم وسمع أخبار عصر الرسالة بتفصيلاته الدينية والدنيوية، وكان لهم دور مهم في إكمال ما بدأه سابقوهم بتدوين أحداث السيرة ونشرها بين الناس، وقد كانت

([1]) ابن سعد: الطبقات، ج2 ص127.

([2]) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص122-124.

([3]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص216؛ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص136.

([4]) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1375هـ/1955م، مج1 ص207، 214، 219، 295، 308، 314، 317، 417، 480، 521؛ مج472، 55، 96، 113، 119، 332.

([5]) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص122.

([6]) ابن سعد، الطبقات، ج7 ص189؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن محمد الجزري الشيباني (ت630هـ/1232م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة بولاق، مصر 1280هـ/1863م، ج3 ص233.

([7]) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة 1967م، ج3 ص86.

([8]) ابن الأثير، أسد الغابة، ج3 ص233.

([9]) الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، دمشق 1983م، ج2 ص158-226.

([10]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج8 ص49.

مدوناتهم أكثر وضوحاً وشمولية من سابقتها، ويعزى ذلك إلى تبني بعضهم جمع وتدوين بعض النصوص التي وقعت بين أيديهم والتي كتبها بعض الصحابة، وقد كان ذلك بسبب تشجيع الخلفاء الأمويين على جمع وتدوين النصوص والحوادث من حياة الرسول(ص)، ويبدو أن هذه الخطوة كانت قد أسست إلى مرحلة جديدة وانتقالية في كتابة السيرة النبوية والمغازي([1]).

ويشير (هوروفتس) إلى هذه المرحلة بقوله: "وقد شرع الناس في الجيل الثاني للصحابة جيل التابعين بجمع روايات وأقوال النبي(ص) وأفعاله التي كانت شائعة في عصرهم، وإذا كانت مادة أحاديث عدد من الصحابة المدونة في الصحائف والكتب مشكوكاً في صحتها وقيمتها، فإنه لا يوجد شك في أن مثل هذه الكتب كانت نادرة في جيل التابعين الذين أخذوا معارفهم عن الصحابة ووجد بينهم أناس يعدَّون علماء بالمغازي"([2])، كانت هذه المدونات من نتاج كل من:

1. أبان بن عثمان (ت105هـ/723م): وهو ابن الخليفة عثمان بن عفان، ولد في المدينة، وسمع من الصحابة بعض الأحاديث والروايات عن سيرة الرسول(ص) وأحواله([3])، اشتهر بتدوين مغازي الرسول(ص)، ومعرفته بها معرفة دقيقة، وقد قام بالتدوين في زمن مبكر، وتشير إحدى الروايات إلى ذلك بأنه حين سأله سليمان بن عبد الملك عند زيارته المدينة في موسم الحج عن مشاهد الرسول(ص)، وأجابه أبان: "وهي محفوظة عندي"، فسرعان ما أحضرها له فلما قرأها أمر بتمزيقها ورميها بالنبل، وذلك لما رأى فيها من إبراز لدور الأنصار في هذه المشاهد، على الرغم من موقفهم المتخاذل في نصرة الخليفة عثمان بعدما حوصر وقتل في داره([4]).

ويتبادر الى الذهن مصير هذه المدونة عند المعاصرين والمتأخرين عن عصر أبان، فقد أورد ابن سعد في حديثه عن المغيرة بن عبد الرحمن يقول عنه: "كان ثقة، قليل الحديث إلا مغازي رسول الله أخذها من أبان"([5])، فكان هذا النص مبيناً مصير المدونة بعد ما اجتمعت عليها هاتان الصعوبتان اللتان كانتا عاملاً مهماً في اندثار هذه المدونة، ويعلق الدكتور الأعظمي على هذا الأمر ويقول: "إن أبان بن عثمان لم يرزق التلاميذ والرواة الذين يوصلون مروياته أو مدوناته في المغازي والسير إلى مسامع الناس"([6])، وقد قطع الدوري بعدم وصول أي شيء شيء من هذه المدونة في المصنفات التي اعتمدت مرويات أقرانه من التابعين عند حديثها عن سيرة الرسول(ص) وأحواله([7]).

([1]) الدوري، بحث، ص21.

([2]) هوروفتس، المغازي الاولى، ص30.

([3]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص112.

([4]) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، بغداد، ط1، 1397هـ/1977م، ص331-334.

([5]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص156.

([6]) الأعظمي، محمد مصطفى، مغازي رسول الله(ص) لعروة بن الزبير، منشورات مكتب التربية العربي، الرياض 1981م، ص21.

([7]) الدوري، بحث، ص21.

2. عروة بن الزبير بن العوام(ت92هـ/710م): وهو من علماء السيرة وأحد الفقهاء السبعة في المدينة([1])، وهو أول من ألف بالمغازي، وقد جمع أخبار الفترة النبوية من تاريخ الإسلام واهتم كذلك بالفترات التي تلتها وخاصة أعمال الفتوحات، واستقى عروة معلوماته من السيدة عائشة أم المؤمنين بحكم قرابته منها، ويعد من مؤسسي كتابة التاريخ العام للأمة الاسلامية([2])، وذكر الرامهرمزي في كتابه المحدث: أن عروة ممن كتبوا الحديث([3])، وروى موسى بن عقبة عن عروة أنه قال: "كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أني فديته بمالي وولدي وأني لم أمحه"([4])، ومع تقريره ندمه على ما محاه كان عروة يشجع على الكتابة، إلا أن رسائل عروة جاءت دليلاً ملموساً على قدرته على الكتابة والتدوين المنظم.

3. شرحبيل بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري(ت123هـ/740م): وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، ولد أواخر خلافة عمر بن الخطاب ولقي جماعة كبيرة من الصحابة وسمع منهم وكان يكثر التردد على الصحابي زيد بن ثابت([5])، انصبت اهتماماته على دراسة مغازي رسول الله (ص) بعامة وغزوة بدر بخاصة حتى عده بعض من ترجم له أنه كان من أعلم الناس في زمانه بالمغازي والبدريين([6]).

ويوضح (هورو فتس) هذه الاهتمامات بجعلها لا تتعدى سوى إعداد القوائم بأسماء المهاجرين الى المدينة ومن اشترك بغزوتي بدر وأحد، ولكن أحد الباحثين يفند هذا الرأي باعتماده على مقالة ابن حجر التي يقول فيها: "كان شرحبيل بن سعد عالماً بالمغازي اتهموه أنه يُدخل فيهم من لم يشهدوا بدراً وفيمن قتل يوم أحد إن لم يكن منهم وكان قد احتاج فسقط عند الناس فسمع بذلك موسى بن عقبة فقال أو أن الناس قد اجترأوا على هذا، فدل على كبر السن وقِيد من شهد بدراً وأحداً ومن هاجر للحبشة والمدينة وكتب ذلك"، إذ يتبين من هذا النص أن كاتب القوائم هو موسى بن عقبة وليس شرحبيل بن سعد كما فهم هورو فتس([7]).

ولكن هذا الرأي آنف الذكر لا ينفي بتاتاً أن شرحبيل لم يكن مدّوناً لبعض حوادث السيرة إذ كانت مروياته التي أغفلها المعاصرون له قد ضمت أخباراً عن السيرة، إذ يبين النص الذي أورده ابن حجر الذي أوضح فيه أن أحداً من الناس قد سأل محمد بن اسحاق المعاصر لشرحبيل عن سبب إغفاله لمرويات الأخير في المغازي وعدم إدراجها في كتابه أو ضمن الروايات التي يلقيها على مسامع الناس، فأجاب ابن اسحاق عن هذا التساؤل بالقول: " وأحد يحدث عن شرحبيل"([8])، ويعزو سبب إغفال هذه الأخبار التي رواها شرحبيل هو لكبره

([1]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص62.

([2]) سهيل زكار، التاريخ عند العرب، ص37-38

([3]) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن (ت360هـ/971م)، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1971م، ص386.

([4]) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1070م)، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، مطبعة إحياء السنة النبوية، القاهرة 1975م، ص60.

([5]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص228.

([6]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4 ص321.

([7]) هورو فتس، المغازي الأولى، ص26.

([8]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4 ص321.

وخرفه واختلال عقله كما ذكر ذلك ابن سعد([1])، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الناس كانت تتحاشاه مخافة لسانه الذي يكيل التهم لمن يرده من أبناء الصحابة بأن أباك أو جدك لم يشهد بدراً([2])، أو يجعل من لا سابقة له في الإسلام سابقة([3]).

ولّدت هذه الأمور مجتمعة عزوفاً من قبل المهتمين بسيرة الرسول لما تفوه به شرحبيل حتى لم نجد أية رواية عن سيرة الرسول (ص) ترجع في إسنادها إليه سوى رواية واحدة أوردها ابن سعد([4])، ومن هذا كله يستنتج أن هذا العزوف لمرويات هذا الراوي يدل على وجود حس نقدي مبكر للرواية والرواة.

ولوائح شرحبيل تمثل مرحلة مبكرة لظهور فن علم الطبقات، وهو العلم الذي اهتم بالترجمة للصحابة والتابعين، ورتب هؤلاء الصحابة حسب سابقتهم بالاسلام ودرجة قرابتهم بالرسول (ص)، واهتم بما رووه عن النبي ثم بأبرز ما اتسسوا به من صفات مع أخبار أهم أعمالهم([5]).

4. وهب بن منبه (ت 110هـ/728م): وهو وهب بن منبه بن كامل بن ذي كناز، وهو يماني المولد، فارسي الأصل، سكن المدينة، وحدث فيها، وكان من المقربين لدى الخلفاء الأمويين، وممن اشتهر برواية أخبار الأمم السابقة وأهل الكتاب وعرف العديد من لغات عصره([6])، وعدّ من قبل أحد المتأخرين في عداد من كتب في المغازي([7])، ومال إلى هذا الرأي أحد الباحثين إذ علق على ذلك بالقول: "وقول حاجي خليفة صحيح صحيح فقد وجد أحد المستشرقين بين مجموعة أوراق بردي في هيدلبرج بألمانيا مجلداً يحوي قطعة من كتاب المغازي هذا"، ووافق باحث آخر على هذا الرأي أيضاً([8]).

ولكن نسبة هذه المجلدة في المغازي لوهب بن منبه محل تدبر وتأمل، وذلك بملاحظتنا أن سندها الذي أورده لنا (هورو فتس) قد حوى في طريق الإسناد الى وهب سبطه عبد المنعم إدريس (ت 228هـ/843م)([9])، الذي اتفق جميع العلماء الذين ترجموا له على أنه وضّاع ويضع الحديث على جده وهب([10]).

([1]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص288.

([2]) أبو حاتم الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس (ت 327هـ/938م)، الجرح والتعديل، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيد أباد الدكن، الهند 1372هـ/1953م، ج2 ص339.

([3]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج10 ص361.

([4]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص288.

([5]) سهيل زكار، التاريخ عند العرب، ص38.

([6]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص545.

([7]) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2 ص1747.

([8]) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج1 ص441

([9]) هورو فتس، المغازي الأولى، ص35.

([10]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمد أحمد قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1403هـ/1982م، ج2 ص23.

ويرجع السبب الذي دفعنا لإثارة هذه الشكوك حول صحة كتابة وهب لمغازي رسول الله (ص) هو أننا لم نجد في أثناء تصفحنا للكتب التي تحدثت عن سيرة الرسول (ص) رواية ينتهي سندها إلى وهب أو يكون هو في أحد طرقها هذا من جانب، ومن جانب آخر كانت معظم الروايات التي وصلت إلينا عن وهب تتضمن عرضاً لأخبار الأنبياء والرسل والأمم والأقوام السالفة[1]، مع ذكر ابن النديم أن له كتاباً في هذه المحاور من التاريخ[2]، وهذا ما دفع (هورو فتس) إلى عدّ إسهامات وهب في هذه الجوانب من التاريخ مدخلاً متمماً لسيرة لسيرة الرسول (ص)، لارتباط الرسالات التي استعرضها وهب بالرسالة التي أتى بها محمد (ص)[3]، فضلاً عن ذلك فقد عدّ أحد الباحثين تدوين وهب لأخبار الرسل والأمم السالفة حافزاً للمؤرخين الذين أتوا بعده على جعلهم وهباً من أوائل من قدم نموذجاً للتاريخ العالمي متمثلاً في تاريخ الرسالات، حتى كان لذلك صدى قوي في عقل محمد بن إسحاق حين بدأ سيرة الرسول (ص) بأخبار الأمم والأقوام والأنبياء السالفة التي أسماها بأخبار المبتدأ[4]، هؤلاء هم التابعون الذين هم في الطبقة الأولى من علماء المغازي والسير.

ج- مدونات تابعي التابعين:

أما أصحاب الطبقة الثانية ممن تلوا هؤلاء وأسهموا إسهامات جليلة في تطور كتابة السيرة النبوية فهم:

1. عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت135هـ/753م): ينتمي إلى أسرة أنصارية هي عائلة بني مالك بن النجار أحد بطون قبيلة الخزرج في المدينة، وقد وثقه كل من ترجم له، وسمع الحديث من جمع غفير من كبار التابعين[5].

وأخذ عبد الله علوم المغازي من شيوخه في المدينة وبرز نشاطه في جمع مادتها التي ساعدته في تدوين مجموعة كبيرة من أحداث السيرة والمغازي التي اعتمد عليها مؤرخو السيرة فيما بعد، ويشير الخطيب البغدادي إلى أن عبد الملك بن أخي عبد الله قد قدم بغداد وأقام فيها وحدّث بأخبار المغازي عن عمه عبد الله، وكتب جلساؤه هذه المغازي ورووها عنه[6]، ويعطي ابن النديم بعداً أكثر من ذلك يجعله ممن صنف كتاباً مستقلاً بالمغازي يحتمل فيه أنه اقتبسه من عمه[7]، وأشاد بعض الكتاب المحدثين أيضاً بعبد الله وعلمه، فقال عنه هورفتس: "أنه من كبار علماء الحديث الذين وجهوا عنايتهم الخاصة إلى المغازي"[8].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل، ج1 ص10، 39، 41، 43، 108، 176، 201، 226، 300، 304، 322، 407.
(2) ابن النديم، الفهرست، ص24.
(3) هورو فتس، المغازي الأولى، ص34.
(4) أمين المدني، التاريخ العربي ومصادره، دار المعارف، القاهرة 1391هـ/1971م، ص400.
(5) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج5 ص165.
(6) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج10 ص409.
(7) ابن النديم، الفهرست، ص282.
(8) هورفتس: المغازي الأولي، ص37,

2. عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري(ت120هـ/737م): نشأ عاصم وترعرع في كنف أسرته المعروفة بالورع والتقوى، وكان مواظباً على سماع الحديث وساعده ذلك وجوده في المدينة وتلقط الأخبار من أفواه الصحابة، ولازم مسجد رسول الله(ص) مما جعله يحفظ الأحاديث والأخبار الخاصة بسيرة الرسول(ص) ومغازيه، وكان راوياً للحديث وثقة فيه([1])، وكا من العلماء بأخبار المغازي([2])، ولأجل ذلك استقدمه الخليفة عمر بن عبد العزيز من المدينة ونصب له منبراً في المسجد الجامع بدمشق ليحدث الناس بالمغازي وسيرة الرسول ومناقب الصحابة، وسمع منه أخبار تتعلق بالسير والمغازي، واعتمد المؤرخون على عاصم في كتابة السير والمغازي كابن اسحق والواقدي([3]).

ويتبين مما سبق أن عاصماً قد توافرت له فرصة في نشر أخبار الرسول(ص) وأحواله على الناس بمباركة من الخليفة نفسه مما لم يتوافر لأقرانه من التابعين، الأمر الذي أدى إلى كثرة الروايات التي وصلت إلينا عنه في كتب السيرة والمغازي([4]).

3. محمد بن مسلم بن شهاب الزهري(ت 124هـ/741م): وهو أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز والأمصار، ويعد من كبار الجيل الثاني الذين أخذ عنهم العلم الكثير بمختلف صنوفه وأدى دوراً متميزاً في كتابة الحديث النبوي ونشره بين الناس مع تقريب الأمويين له وجعله بعضهم مؤدباً ومعلماً لصبيانهم([5]).

وكان له دور بارز في إرساء الأسس والثوابت العامة لكتابة السيرة النبوية([6])، وما ذلك إلا لأن الزهري يكتب ويدون كل ما يسمعه من حديث أو حكم أو خبر عن الرسول(ص) وأحواله، فضلاً عن أخبار من أتى بعده، إذ يحدث من رآه وصاحبه: "كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كلما سمع"([7]).

وتشير الروايات أن الزهري كان ممن يشتهرون بتدوين ما يسمعون، مما يجعلنا نعطي صفة التأكيد أن الزهري كانت له بعض الروايات عن سيرة الرسول(ص)، حتى أن الأصفهاني يذكر أن الزهري شرع بكتابة السيرة في مطلع القرن الثاني الهجري ولم يكتب لها الاكتمال، حتى عد السهيلي (ت508هـ/1114م) أن أول سيرة

([1]) ابن قتيبة، المعارف، ص466.

([2]) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(ت852هـ/1448م)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ت، ج3 ص447.

([3]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج5 ص54-55.

([4]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2 ص321، 345، 382، 405؛ الواقدي، المغازي، ج1 ص129، ج2 ص500.

([5]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص180.

([6]) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج1 ص450؛ الدوري، بحث، ص23.

([7]) الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان(ت277هـ/890م)، المعرفة والتاريخ، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ/1999م، ج1 ص639؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص102.

ألفت في الاسلام للرسول (ص) هي السيرة التي ألفها الزهري[1]، فضلاً عن وجود متأخرين تابعوا هؤلاء في مقالتهم هذه[2].

هذه هي الجهود التي قام بها الزهري والتي أسهمت اسهاماً جاداً في تطور كتابة السيرة، وأحدثت نقلة نوعية فيها فضلاً عن عرض أحداثها بأسلوب سهل وبسيط[3]، ويتضح لنا أنه كلما اقتربنا من منتصف القرن الثاني الهجري أخذت الأصول الأولية للسيرة تأخذ بالوضوح شيئاً فشيئاً وذلك راجع إلى قربها من مرحلة التبويب والتصنيف التي يحددها الذهبي بسنة 143هـ/760م[4]، إذ كان العلماء على حد قوله قبل هذه السنة يكتبون يكتبون في صحف غير مرتبة[5].

بعد الإمام الزهري قام بعبء التأليف ثلاثة من أشهر المؤلفين في السيرة وهم: موسى بن عقبة، ومعمر ابن راشد، ومحمد بن إسحاق، وقد كان لهؤلاء الثلاثة دور بارز في التأليف في السيرة ودفعوا بها خطوات إلى الامام[6].

4. موسى بن عقبة (ت 141هـ/795م): وهو موسى بن عقبة أبي عياش الأسدي المطرقي، منمو الي آل الزبير ومن أعلام عصره، ويعد من كبار المحدثين وثِقاتهم، برع في الفقه وفي رواية الحديث وكانت له حلقة درس في المسجد، وسمع الحديث من كبار التابعين[7]، وكان له دور بارز في توثيق أحداث السيرة والمغازي والمغازي بخاصة، حيث ذكرت بعض المصنفات قيامه بتصنيف كتاب في مغازي الرسول (ص)[8]، وحصلت هذه المدونة عن سيرة الرسول (ص) ومغازيه احترام معاصريها حتى أوصى الإمام مالك بن أنس أصحابه باعتمادها بقوله: "عليكم بمغازي الشيخ الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي عندنا"[9]، وفي رواية أخرى يقول مالك: "عليكم بمغازي موسى بن عقبة فأنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ليقيد من شهد مع رسول الله (ص) ولم يكثر كما كثر غيره"، وكانت مغازي موسى معروفة متداولة الى عصور متأخرة، قال الذهبي في وصفها: " وأما مغازي موسى بن عقبة فهي في مجلد ليس بالكبير سمعناها، وغالبها صحيح،

---

(1) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الخثعمي (ت 581هـ/1185م)، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1399هـ/1978م،، ج1 ص214

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2 ص1460، 1747.

(3) حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط2، منشورات إقرأ، بيروت 1980م، ص65.

(4) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص151، 229.

(5) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص229.

(6) مصطفى، التاريخ العربي، ج1 ص152؛ الدوري، بحث، ص71-72.

(7) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص148؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج10 ص360.

(8) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت 463هـ/1070م)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة 1381هـ/1961م، ص29.

(9) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص148.

ومرس (متمرس) جيد لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة وبيان وتتمة"، وروى الجماعة لموسى بن عقبة، واعتد البخاري مغازيه في صحيحه([1]).

إلا أن هذه المغازي مفقودة باستثناء قطعة واحدة قام بنشرها المستشرق سخاو، مع ترجمة بالألمانية لها سنة 1904م([2])، ولكن الكثير من مغازي موسى موجود في كتب السنة والمغازي والدلائل، ونرى من خلال ما سبق أن كتابة موسى بن عقبة للسير أخذت بالاستقرار عنده شيئاً فشيئاً، وصولاً إلى كتابة أول سيرة شاملة للرسول (ص) من قبل محمد بن إسحاق([3]).

وقد مثلت هذه الجهود من التابعين في تدوين السيرة مرحلة انتقالية بين الكتابة المشوشة والكتابة المنسقة الخاضعة لمنهج دقيق، ولم تقتصر على جهود هؤلاء فقط بل وجدت هنالك مدونات أخرى لم تكن بحجم سابقتها ذكرتها بعض المصادر وهي:

أ- مدونة نافع مولى عبد الله بن عمر (ت119هـ/737م)، إذ دوّن فيها غزوة الرسول (ص) لبني المصطلق، إجابة منه عن تساؤل أحد المسلمين عن هذه الغزوة([4]).

ب- مدونة عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب (ت142هـ/759م)، التي دون فيها ما رواه الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (ت76هـ/695م) عن سيرة الرسول (ص)([5])، وقد وصلت نقول من هذه المدونة المدونة في بعض المصنفات التي تطرقت لأحداث السيرة([6]).

إن جميع من ذكرناهم من التابعين الذين تبنوا تدوين أحداث السيرة، قد كانوا من أهل المدينة ومن المنتمين إلى مدرستها التي عرفت بـــ (مدرسة المدينة)([7])، ولكن هذا لا يعني أن تدوين السيرة قد انحصر في المدينة بل شاطرها في أمصار إسلامية في عملها هذا ولكن بصورة أضيق منه، حيث كانت عند أهل الحجاز واليمن والعراق والشام.

وتشير إحدى الدراسات الحديثة أن مكانة أهل الشام لا تقل قدراً عن مكانة أهل المدينة في رواية وتدوين السيرة والمغازي، وذلك باستعراضها العديد من الأسماء الذين ذكرت بعض المصادر قيامهم بكتابة وتدوين بعض حوادث السيرة([8])، أما مكانة أهل العراق في رواية وتدوين المغازي فكانت أكثر وضوحاً من سابقتها إذ

([1]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد، ط11، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1996م، ج6 ص115، 116.

([2]) هورفتس، المغازي الأولى، ص71.

([3]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص151.

([4]) أبو عبيد، الأموال، ص116.

([5]) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص104.

([6]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2 ص120؛ ابن سعد، الطبقات، ج1 ص65.

([7]) مصطفى، التاريخ العربي، ج1 ص49-169.

([8]) حسين عطوان، الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ص59، 206-208.

أشارت أحد المصادر إلى مقولة ذكرها عبد الله بن عمر بن الخطاب عن مكانة عامر الشعبي برواية المغازي، إذ وصفه قائلاً:" لهذا أحفظ مني لها وكأنه شهدها مع رسول الله (ص)([1])، وانفردت إحدى الدراسات الحديثة برأي مفاده أن عامر كان من المدونين والحافظين لأخبار المغازي، وهذا الرأي تعوزه الدقة؛ لأن عامر الشعبي كان من الذين يميلون إلى الحفظ بدلاً من التدوين([2]).

وذكر بعض الباحثين اسماً آخر للتابعين الذين قاموا بتدوين أحداث السيرة قبل أن تكتب السيرة الشاملة التي صنفها ابن إسحاق وهو:

5. معمر بن راشد الصنعاني (ت153هـ/770م): وهو معمر بن راشد الأزدي الحداني، ولد في البصرة وعاش في اليمن وترعرع فيها، ولازم الزهري وسمع منه كثيراً وتصدر للتدريس والفتيا في اليمن، واتفقت المصادر التي ترجمت له على وثاقة حاله([3])، وذكر ابن النديم أن له كتاباً أسماه المغازي([4])، وأشار (سزكين) إلى أن أحد الباحثين قد قام بنشر هذا الكتاب في الولايات المتحدة الأمريكية([5])، وقد اعتمد معمر بن راشد كثيراً في مدونته هذه على ما رواه شيخه الزهري([6])، ولأجل ذلك أطلق عليه النووي (ت676هـ/1277م) بصاحب الزهري([7]).

كانت اتجاهاته في كتابة السيرة موافقة لما نحاه شيوخه ومعاصروه نحو الاهتمام بإيراد سند الحديث والرواية، وإثبات الآيات القرآنية التي نزلت في الحوادث التي يتطرقون إلى ذكرها، مع مخالفتهم في إغفال ما قيل في تلك الحوادث من شعر([8]).

ويعد معمر بن راشد من أوعية العلم مع الصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف([9])، وقد أخذ العلم عن قتادة والزهري وهمام بن منبه وأبي اسحاق السبيعي وثابت البناني وغيرهم، وأخذ منه عمرو بن دينار والسفانيان([10]) وابن المبارك ومحمد بن عمر الواقدي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني وغيرهم([11]).

([1]) ابن سعد، الطبقات، ج6 ص252؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج12 ص230.

([2]) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص46.

([3]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص375.

([4]) ابن النديم، الفهرست، ص106.

([5]) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج1 ص465.

([6]) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت211هـ/826م)، المصنف، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمي، المجلس الأعلى، ط1، بيروت 1392هـ/1972م، ج5 ص313، 440.

([7]) النووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف (ت676هـ/1277م)، تهذيب الأسماء واللغات، نشر إدارة الطباعة المنيرية، د.ت، ج2 ص107.

([8]) الصنعاني، المصنف، ج5 ص322، 324، 340، 342، 347، 357-359؛ الواقدي، المغازي، ج3 ص889.

([9]) الذهبي، سير، ج7 ص6.

([10]) السفيانيان، هما سفيان بن عيينه، وسفيان الثوري.

([11]) الذهبي، سير، ج7 ص605.

وجد من بين أهل العراق من ذكرت المصادر قيامه بتدوين أحداث من سيرة الرسول (ص) في صحائف بقيت منها في المصنفات التي أتت بعدها وهو:

6. سليمان بن طرخان التميمي البصري (ت143هـ/760م): وهو من التابعين البارزين والمحدثين المشهورين الذين وثقهم كل من ترجم له، سمع الحديث عن أنس بن مالك والإمام الحسن بن علي[1]، وعدّ (سزكين) سليمان التميمي من المهتمين بكتابة السيرة والمغازي وممن صنف فيها[2]، وكانت لهذا الرأي مصاديق عدة، إذ حصل ابن خير الأشبيلي (ت575هـ/1179م) على إجازة برواية المغازي التي كتبها سليمان عن رسول الله (ص) وأسماها كتاب (سيرة النبي) لسليمان بن طرخان[3]، فضلاً عن ذلك فقد أيد السخاوي وجود الكتاب بجعل ولده معتمر (ت178هـ/794م) رواية له[4].

وأصبحت المغازي التي كتبها سليمان بن طرخان محل جدل بين بعض الباحثين إذ أغفلها كل من (هورو فتس) و (الدوري) حين عرضا المدونات الأولى لسيرة الرسول (ص)[5]، فضلاً عن ذلك فقد سوغ باحث آخر إغفال هذه المغازي من قبل بعض الدراسات لأن المصادر القديمة لم تذكر قيامه بتدوينها[6]، ويضيف آخر أنه أنه لم تكن تلك الإسهامات الملموسة والواضحة في كتابة السيرة لكي تجعل من صاحبها عنواناً يستشهد به ضمن الذين غرزوا نواة التاريخ العربي[7].

واستدرك أحد الباحثين على هذه المواقف والآراء السابقة بإزاء ابن طرخان وكتابته لمغازي رسول الله (ص) بأن أشار إلى أحد المستشرقين (فون كريمر) قد حصل على مخطوط لمغازي الواقدي يضم في نهايته أوراقاً من مغازي أبي المعتمر سليمان بن طرخان أسماها ناسخ المخطوط بـ (السيرة الصحيحة)[8]، هؤلاء هم الأشخاص الذين أدوا دوراً في تدوين ورواية أحداث السيرة التي سبقت سيرة محمد بن اسحاق التي تمثلت فيها جهود معظم هؤلاء الأشخاص[9].

لم تقتصر مدونات سيرة الرسول (ص) وذكر أصحابه ومتعلقيه على النثر، بل نظمت كثير من القصائد التي أرّخت بعض الحوادث التي حصلت في عصر الرسالة، إذ رفدت القصائد التي جادت بها قريحة الشعراء

---

(1) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص294.
(2) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج1 ص453.
(3) ابن النديم، الفهرست، ص231.
(4) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط1، مكتبة ابن سيد للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، القاهرة 1989م، ص159.
(5) هورو فتس، المغازي الأولى، ص3-96؛ الدوري، بحث، ص5-98.
(6) حسين نصار، نشأة تدوين، ص69.
(7) المدني، التاريخ العربي ومصادره، ج2 ص437.
(8) حسين نصار، نشأة تدوين، ص69.
(9) هورو فتس، المغازي الأولى، ص75.

بالسيرة النبوية لبعض الحوادث المهمة التي لولاها لبقيت مبهمة وغير معروفة، إذ وصف أحد الباحثين هذه المقاطع الشعرية التي انبرى لجمعها ودراستها بالقول: "تزخر السيرة النبوية بالكثير من النصوص الشعرية التي تمثل جانباً من تراثنا الأدبي والتي لا تقف أهميتها على الناحية الأدبية فحسب بل تتجاوزها إلى نواح دينية وتاريخية، إذ صورت لنا كثيراً من الأحداث والمواقف في الحقبة الأولى من تاريخ الإسلام وتضمنت ذخراً وافراً من المعاني والأفكار التي أفرزها ذلك التغير الشامل والتطور الهائل الذي أحدثه الإسلام في جميع جوانب الحياة"([1]).

ويتبن لنا من خلال المدونات النثرية والشعرية المسار الذي سلكته كتابة السيرة قبل منتصف القرن الثاني الهجري عندما شرع محمد بن اسحاق في تصنيف أول سيرة شاملة للرسول (ص)([2]).

7. محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار (ت151هـ/768م): وهو امام أهل المغازي ([3])، وكان كثير الرواية وتخصص في علم المغازي والأخبار وأخذ عن أهل الكتاب([4])، قال الزهري: "لا يزال بالمدينة علم جم جم ما دام فيهم ابن إسحاق"([5])، وقال الشافعي: " من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق"([6])، وقد تكلم بعض علماء الجرح والتعديل في محمد بن إسحاق، وقد روى له البخاري في الصحيح الصحيح معلقاً([7])، واستشهد به وأكثر في غير صحيحه فيما يحكى في أيام النبي وأحواله، أما مسلم فقد روى له مقروناً مع غيره([8])، ومن أبرز من تكلم في ابن إسحاق الإمام مالك وهشام بن عروة([9])، وقال الذهبي: "وقد وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء منها تشيعه ونسب إلى القدر ويدلس في حديثه"([10])، ثم قال في موضع آخر: "وهذان الرجلان -مالك ومحمد بن إسحاق- كل منهما قد نال من صاحبه لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة وارتفع مالك وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه ولا سيما في السير وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن إلا فيما شذ فيه فإنه يعد منكراً هذا الذي عندي في حاله والله أعلم"([11]).

([1]) شوقي رياض أحمد، شعر السيرة النبوية، دار المأمون، مصر، ط1، 1407هـ/1987م، ص3.
([2]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص151.
([3]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج7 ص34-35.
([4]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج7 ص53.
([5]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج7 ص36.
([6]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج7 ص36.
([7]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ص15-22.
([8]) الذهبي، سير، ج7 ص55؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج6 ص45.
([9]) الذهبي، سير، ج7 ص50-51.
([10]) الذهبي، سير، ج7 ص39.
([11]) الذهبي، سير، ج7 ص41.

أما المدائني فقد قال: "أنه ليبين - بفتح اللام والباء - في حديثه الصدى"، يقول مرة حدثني أبو الزناد، ومرة ذكر أبو الزناد، يقول حدثني سفيان بن سعيد عن أبي سالم وهو من أروى الناس عن أبي النضر، ويقول حدثني الحسن بن دينار عن عمرو بن شعيب...وهو من أروى الناس، عن عمرو، ولم أجد له سوى حديثين منكرين"([1])، وقد كوّن ابن إسحاق مدرسة في السيرة تكاد تكون مستقلة في منهجها عن مدرسة أهل الحديث الحديث وكان من أتباعها الواقدي وابن سعد وغيرهم، هؤلاء هم الأشخاص الذين أدوا دوراً في تدوين ورواية أحداث السيرة التي سبقت سيرة محمد بن إسحاق التي تمثلت فيها جهود معظم هؤلاء الأشخاص ([2]).

8. محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ/822م): وهو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولى عبد الله بن بريدة الأسلمي، وكان عصره متميزاً في الثقافة والعلوم المتنوعة، وقد حصل على شهرة واسعة في المدينة، وقد رحل إلى بغداد، واتصل بالبرامكة، وتولى القضاء في عهد هارون الرشيد، وفي عهد المأمون، وقد اشتهر عن الواقدي قوله عن نفسه مفتخراً بسعة معرفته وحفظه: "ما من أحدٍ إلا وكتبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثر من كتبي"([3]).

وكان الواقدي جمّاعاً للأحاديث، كما أنه صرف عنايته للعلوم الإسلامية عامة وللتاريخ خاصة، ولقد قال عنه تلميذه المشهور محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: "كان عالماً بالمغازي، والسيرة، والفتوح، واختلاف الناس في الحديث، والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه، وقد فسر ذلك في كتب استخرجها ووضعها وحدّث بها"([4])، وقال عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "أنه كان يمتلك مكتبة تم نقلها على ظهور مائة وعشرين جملاً"([5])، وينسب إليه ابن النديم في الفهرست عناوين ثمانية وعشرين كتاباً قام بتأليفها، ومنها: كتاب المغازي، ويسمى كذلك كتاب التاريخ والمغازي والمبعث، وكتاب فتوح الشام، وكتاب فتوح مصر، وكتاب الردة، وكتاب الطبقات الكبير، وكتاب الأوس والخزرج، وكتاب وفاة النبي (ص)، وكتاب سيرة أبي بكر ووفاته، وغيرها، ولم يبقَ من كتبه سوى كتاب المغازي وهو مطبوع ومحقق، إذ حققه المستشرق (مارسدن جونس) في القاهرة ونشره سنة 1964م، أما بقية كتبه فلم تصلنا منها سوى مقتطفات في كتب المؤرخين المتأخرين أخذوا عنه كالبلاذري، والطبري، وابن كثير، كما أخذ عنه على الخصوص تلميذه ابن

([1]) الذهبي، سير، ج7 ص51.

([2]) حسين عيسى الحكيم، محمد بن اسحاق وريادته تدوين السيرة النبوية، مجلة آداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، بغداد، عدد14، 1405هـ/1986م، ص275-280.

([3]) هورو فتس، المغازي الأولى، ص96.

([4]) ابن سعد، الطبقات، ج5 ص316-317؛ ابن قتيبة، المعارف، ص258.

([5]) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم الأدباء، دار المأمون للطباعة والنشر، القاهرة 1938م، ج18 ص279.

سعد في طبقاته الكبرى، وهناك كتاب آخر مطبوع منسوب للواقدي هو كتاب فتوح الشام غير أن بعضهم يشك في هذه النسبة([1]).

وكانت منهجية الواقدي في البحث التاريخي بتقصيه للأخبار بنفسه، فهو حريص على زيارة مواقع الأحداث التي تعرض لها في مغازيه ومعاينتها، وقد قال عن منهجه وعن نفسه: " ... ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة، وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم، إلا سألته: هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهدهن وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت الى الموضع فعاينته"([2]).

وروى عنه أحدهم حرصه على المعاينة للمواقع التاريخية التي يكتب عنها، فقال: "....رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة، فقلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حنين، حتى أرى الموضع والواقعة"، ومما يميز الواقدي دقته في التاريخ للأحداث، وهو ينفرد بذكر تفاصيل لا نجدها عند غيره، مع إسهاب في تفصيل الأحداث الشهيرة، ويلقي الواقدي في مغازيه الضوء على كثير من أوجه الحياة الإسلامية المتعلقة بما بين هجرة النبي ووفاته، ويتبع الواقدي منهجاً نقدياً واضحاً، ومادته الإخبارية منظمة وقائمة على التثبت والتحري وإبداء الرأي الشخصي عند الأخبار([3]).

9. عبد الملك بن هشام الحميري المعافري: ولد بالبصرة، وتلقى العلم فيها، ورحل إلى مصر وأقام بها حيث توفي بالفسطاط سنة 218هـ/833م، كان من علماء النحو والأنساب، إلا أنه اشتهر على الخصوص بكتابه في السيرة النبوية، المعروف كذلك بـ(سيرة ابن هشام)، وهي السيرة التي اعتمد فيها أساساً على كتاب (المغازي والسير) لابن إسحاق، حيث هذّب هذه المغازي ولخصها وحذف الكثير من مادتها الحشوية، خصوصاً القسم الأول منها المسمى المبتدأ، كما حذف الكثير من الأشعار الهجائية الموضوعة التي طرز ابن إسحاق بها كتابه([4]).

وتعدّ سيرة ابن هشام أكثر المصادر تداولاً حول تفاصيل سيرة الرسول(ص)، وللسيرة التي وضعها عدة شروح، أشهرها كتاب الروض الآنف، لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(ت581هـ/1185م)([5]).

10. محمد بن سعد بن منيع الأنصاري(ت230هـ/840م): ينسب للبصرة حيث ولد فيها، هو تلميذ الواقدي، وغالباً ما عرف بكاتب الواقدي، وقد لازمه وتتلمذ عليه، وكان قد ارتحل إلى بغداد وأقام بها ملازما

([1]) ابن النديم، الفهرست، ص98—99، 11؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، م1 ج2 ص100-1-1.

([2]) الواقدي، المغازي، ج1 ص10، 82، 95؛ الدوري، بحث، ص29؛ مصطفى، التاريخ، ج1 ص165.

([3]) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج3 ص6؛ الدوري، بحث، ص31.

([4]) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1971م، ج1 ص365؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، م1 ج2 ص106.

([5]) سزكين، تاريخ التراث العربي، م1، ج2، ص106-111.

أستاذه الواقدي يكتب له، ثم تحول إلى المدينة، ومنها عاد الى بغداد التي توفي بها، وكان شغله الشاغل هو لقاء الشيوخ وجمعه الأحاديث من أفواه أعلام عصره من المحدثين([1]).

ومن أشهر مؤلفاته كتاب (الطبقات الكبرى) الذي اشتهر به، ويتألف من عدة أجزاء، أفرد منها الجزأين الأولين لسيرة النبي ومغازيه، وخصص الأجزاء الباقية لأخبار الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين حتى سنة (230هـ/845م)، وقد ترجم فيها للصحابة البدريين، وللأنصار والمهاجرين، ولأهل المدينة التابعين، كما ترجم للصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والكوفة والبصرة، وبلغت تراجمه حوالي ثلاثة آلاف ترجمة، وسيرة النبي في طبقات ابن سعد تفوق في دقتها وتفاصيلها كل ما كتبه سابقوه في السيرة النبوية، وكتابه يعد حلقة وصل بين علم الحديث وبين الرواية التاريخية، وتبين مادة الطبقات عن أن ابن سعد قد استقى معظم مادته الخاصة بتاريخ الأنبياء قبل محمد(ص)، وتلك الخاصة بالأنساب القديمة للعرب، عن الإخباري هشام الكلبي، أما بقية المادة التاريخية التي تضمنها هذا الكتاب فتظهر فيها بوضوح آثار مصنفات أستاذه الواقدي، ولذا فإنه يصدق عليه القول أنه: "ألف كتبه من مصنفات الواقدي"([2]).

ويعد كتاب الطبقات الكبرى من أقدم المصادر وأوثقها في التاريخ الإسلامي، وهو أول ما ألف في كتب طبقات الرجال، إذا ما طرحنا جانباً طبقات أستاذه الواقدي، الضائع، ولقد ظهر تأثير طبقات ابن سعد في كتب مؤرخين جاءوا بعده، فقد نقل عنه كل من: البلاذري في فتوح البلدان، وأنساب الأشراف ونقل عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق، والذهبي في تاريخ الإسلام، وابن كثير في البداية والنهاية، وغيرهم.

وترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن خلكان في وفيات الأعيان([3])، ولقد طبق ابن سعد منهج الإسناد في الرواية ونقد الرواة، تطبيقاً وافياً فيما أورده من أخبار متفرقة، وحرص على الإسناد، ليس فقط فيما يتعلق بالنبي وعصره، وإنما التزم هذا المنهج حتى فيما يتعلق بجيلي التابعين وتابعي التابعين وأخبارهم، وهو بالغ الأمانة والدقة والتصدي والتقصي، وإسناده غالباً ما يمضي به حتى الوصول إلى الشهود الحقيقين للأحداث التي يرويها([4]).

([1]) الذهبي، سير، ج10 ص664-665.

([2]) هوروفتس، المغازي الأولى، ص127؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، م1، ج2، ص111-112.

([3]) هوروفتس، المغازي الأولى، ص127، 128؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، م1، ج2، ص111-112

([4]) هوروفتس، المغازي الأولى، ص127؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، م1، ج2، ص113.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن الكتابات الأولى لسيرة الرسول (ص) اتسمت بالطابع الشخصي في تدوينها، وقد قام بها ثلة من الصحابة والتابعين بجهود فردية، سجلوا فيها بعض الحوادث التي تبين دور الرسول (ص) وجهوده في نشر الإسلام، كما تتضح جهودهم في تدوين الحوادث التي شهدوها مع قبائلهم والتي تمثلت في الدفاع عن الإسلام وعلاقاتهم بالرسول (ص)، وقد اهتموا بأخبار السيرة وأحداثها حتى كانت المادة الأولى لكتابات الجيل الثاني من التابعين وتابعي التابعين الذين دونوا بعض أحداث السيرة بشمولية واتساع أكثر من سابقيهم ليكونوا بمجهودهم هذا الأساس الذي استندت إليه المصنفات الشاملة والمبوبة لسيرة الرسول (ص) وأحواله.

وكانت هذه المدونات قد اختلفت من مصنف إلى آخر نظراً للتنوع وتشعب الصور التي كتبت بها السير والمغازي ، وهذا التنوع جاء نتيجة اختلاف الأوقات التي ظهرت فيها وكذلك تنوع منهجية المؤرخين للسيرة، إلا أن هذا التنوع أفاد المهتمين بأن أوجد خزيناً معرفياً أثرياً لسيرة الرسول (ص).

وتعدّ كتابة أحداث السيرة نقلة نوعية في التاريخ ساعد على تطورها تطلع بعض العلماء المسلمين إلى إعطاء صورة شاملة للمجتمع وتدعم فكرة الأمة وخاصة بعد أن اتصل العرب والمسلمون بالأمم الأخرى، وظهر اختلاط العرب والمسلمين بالأمم الأخرى بشكل بارز، لذلك كانت هذه النقلة لإحياء السيرة ومغازي الرسول (ص) وكتابتها من منظور تاريخي واسع يجعلها خاتمة تجارب الأمم التي عاشت مع الأنبياء ورسالاتهم، أو كانت لها صلة من أي نوع بفكرة التوحيد، باستلهام هذا المنظور التاريخي من القرآن ومعارف العرب التقليدية وما عرفوه من معايشتهم لأصحاب الكتاب وأهل البلاد المفتوحة([1]).

ونلاحظ أن العلماء المسلمين قد انتهجوا في بداية كتابتهم للحوادث التاريخية وأخبار الأمم السالفة المعرفة بكل ما وصل إليهم من نصوص مكتوبة عنها وما قرئ على مسامعهم من سرد لهذه الحوادث وجمع هذه الموارد مجتمعة في مصنفات تبوب بحسب المواضيع التي تخصها من دون إبداء وجهة نظر أو نقد أو مقارنة بين المصنفات المتماثلة أو الروايات المتشابهة، أطلق على الذين اتبعوا هذا الأسلوب في عرض الحوادث بالإخباريين([2]).

([1]) الدوري، بحث، ص27.

([2]) روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م، ص114.

الملخص

جاءت هذه الدراسة للبحث عن المصادر الأولى للسيرة والمغازي النبوية، و تناولت توضيح مفهومي " السيرة" و "المغازي"، وبيان الجهود المبكرة لتدوينها، وقد حاولنا أن نعرض المصادر الأولى للسيرة النبوية مبتدأ بالقرآن الكريم مصدراً أساسياً للسيرة النبوية، وكذلك الوثائق النبوية والمراسلات في عهد الرسول(ص)، ومدونات الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ومن خلال ذلك عرض أشهر علماء السيرة والمغازي وكيف كرس هؤلاء العلماء جهودهم بدراسة السير والمغازي وتدوينها.

وكان البحث يعول على المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة والتي أفادت البحث كثيراً في استشهاداته ومقارناته فضلا عن كون هذه المصنفات قد كانت المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها معظم الدراسات الحديثة، والتي كان لها دورً فاعل في رفد هذا البحث بما توصلوا إليه من نتائج أغنت هذا البحث، وفي نهاية البحث تبين للباحث أن النتاج العلمي للعلماء المسلمين في إطار السيرة والمغازي كان قد مر بعدة مراحل حتى نضجت فكرة السير والمغازي التي أصبحت فيما بعد إحدى الركائز التي استندت إليها كتابة التأريخ الإسلامي.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن محمد الجزري الشيباني(ت630هـ/1232م)،أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة بولاق، مصر 1280هـ/1863م.
3. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد(ت250هـ/1864م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح، ط2، دار الثقافة، مكة المكرمة، 1384هـ/1965م.
4. الأعظمي، إسماعيل عز الدين، كتاب النبي(ص)، المكتب الإسلامي، بيروت 1978م.
5. الأعظمي، محمد مصطفى، مغازي رسول الله (ص) لعروة بن الزبير، منشورات مكتب التربية العربي، الرياض 1981م.
6. البستاني، بطرس، دائرة المعارف الاسلامية، دار المعرفة، بيروت(د.ت).
7. البلاذري، أحمد بن يحيى(ت279هـ/892م)، أنساب الاشراف، تحقيق عبد العزيز الدوري وآخرون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1371هـ/1978م.
8. التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، كلكتا، 1283هـ/1866م، طبع أوفست، مكتبة المثنى، (د.ت).
9. الجوهري، اسماعيل بن حماد(ت393هـ/1003م)، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، القاهرة 1397هـ/1977.
10. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله(ت1067هـ/1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين، دار الفكر، بيروت 1982م.
11. ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(852هـ/1448م)، - تهذيب التهذيب، تحيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ/1994م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

12. حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط2، منشورات إقرأ، بيروت 1980م.
13. حسين عطوان، الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت.
14. حسين عيسى الحكيم، محمد بن اسحاق وريادته تدوين السيرة النبوية، مجلة آداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، بغداد، عدد14، 1405هـ/1986م.
15. حميد الله الحيدر آبادي، مجموعة الوثائق السياسية العائدة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار التأليف والترجمة، القاهرة، ط2، 1375هـ/1956م.
16. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي(ت463هـ/1071م)،

- تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، مطبعة إحياء السنة النبوية، القاهرة 1395هـ/1975م.
- تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت)،

17. الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، دمشق 1983م.
18. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1971م.
19. دروزه، محمد عزة، سير الرسول (ص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1384هـ/ 1965م.
20. الدوري، عبد العزيز،

- دراسة في سيرة الرسول (ص) ومؤلفها ابن إسحاق، قدم هذا البحث إلى دورة مجمع اللغة العربية، بغداد.
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1960م.

21. دلافيلدا، ليفي، دائرة المعارف الإسلامية، مادة سير، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة (د.ت).
22. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)،

- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمد أحمد قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1403هـ/1982م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد، ط11، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1996م.

23. الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد (ت327هـ/938م)، الجرح والتعديل، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدأباد الدكن، الهند 1372هـ/1953م.
24. الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن (ت360هـ/971م)، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1971م.
25. روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م، ص114.
26. الزبيدي، محمد بن مرتضى (ت1205هـ/1791م)، تاج العروس، تحقيق مصطفى الحجازي، وزارة الأعلام، الكويت 1393هـ/1973م.
27. الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، بغداد، ط1، 1397هـ/1977م.

28. الزيلعي، أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي(ت762هـ/1360م)، نصب الراية لأحاديث الهداية، ط1، المجلس العلمي الهندي، 1357هـ/1938م.
29. السجستاني، عبدالله بن أبي داوود(ت316هـ/928م)، المصاحف، تحقيق آرثر جفري، ط1، المطبعة الرحمانية، القاهرة 1355هـ/1936م.
30. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت902هـ/1496م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط1، مكتبة ابن سيد للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، القاهرة 1989م.
31. سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، د.ط، ترجمة عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، منشورات إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1983م.
32. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 2001م.
33. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد(ت581هـ/1185م)، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1399هـ/1978م.
34. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الافاق الجديدة، 1397هـ/1977م.
35. الشهرزوري، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن(642هـ/1244م)، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث، تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مركز التحقيق التراث، القاهرة، 1396هـ/1976م.
36. شوقي رياض أحمد، شعر السيرة النبوية، دار المأمون، مصر، ط1، 1407هـ/1987م.
37. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام(ت211هـ/826م)، المصنف، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمي، المجلس الأعلى، ط1، بيروت 1392هـ/1972م.
38. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة 1967م.
39. ابن عبد الحكم، عبدالله(ت214هـ/829م)، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، ط5، مكتبة وهبة، القاهرة 1373هـ/1954م.
40. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري(ت463هـ/1070م)،
- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة 1381هـ/1961م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، د.ت.

41. أبو عبيد القاسم بن سلام(ت 224هـ/839م)، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1387هـ/1968م.
42. علي شواخ اسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، دار الرفاعي، الرياض 1405هـ/ 1984م.
43. الفخر الرازي، محمد بن زكريا(ت697هـ/1298م)، التفسير الكبير، القاهرة(د.ت).
44. الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان(ت 277هـ/890م)، المعرفة والتاريخ، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ/1999م.
45. الفيروز آبادي، مجد الدين(ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، المكتبة التجارية، القاهرة 1913م.
46. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(ت 276هـ/889م)، المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت 1987م.
47. مارسدن جونسن، مقدمة تحقيق كتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، مطبعة اكسفورد 1386هـ/1966م.
48. مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة 1380هـ/1961م.
49. محمد اسماعيل ابراهيم، سيرة الرسول ومعالمها في القرآن والسنة، دار الفكر العربي، القاهرة 1392هـ/1972م.
50. المدني، أمين، التاريخ العربي ومصادره، دار المعارف، القاهرة 1391هـ/1971م.
51. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، ط1، دار العروبة، القاهرة، 1381هـ/1961م.
52. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.
53. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت 1970م.
54. النووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف(ت676هـ/1277م)، تهذيب الأسماء واللغات، نشر إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.
55. ابن النديم، محمد ابن إسحاق(ت380هـ/990م)، الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط1، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة 1985م.
56. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1375هـ/1955م.

57. هوروفتس، يوسف، المغازي الأولى ومؤلفيها، ترجمة حسين نصار، ط1، شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1949م.
58. الواقدي، محمد بن عمر (ت207هـ/823م)، مغازي الواقدي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت.
59. وليد عوجان، النهي عن تدوين غير القرآن، مجلة البحوث والدراسات، جامعة مؤته، الأردن، مجلد 10، عدد3، آب 1416هـ/1995م.
60. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت626هـ/1228م)، معجم الأدباء، دار المأمون للطباعة والنشر، القاهرة 1938م.